عنوان البحث:

الإعجاز في خلق الكون والإنسان من خلال سورة فصلت

اسم الباحث/ـة

د/ زينب بنت عبد العزيز بن محمد المانع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن القرآن الكريم نزل من ربٍ عظيم، على نبي عظيم، فأما الرب فهو رب الكون وخالقه، وأما النبي فهو خاتم الأنبياء وأعظمهم، ولقد ظل العلماء يبحثون لبيان عظمة هذا القرآن، فهو كلام رب العالمين، هداية وتشريع، وتوجيه وتبصير، فهو المعجزة الأعظم، التي لازالت ظاهرة في كل ناحية من نواحيه، في لغته، وبلاغته، وأخباره، وأحكامه،

مشكلة البحث:

الإعجاز موجود بكل آية من آيات الله، لكن قلَّ من يعرف وجه الإعجاز فيها، إلا لمتخصص في ناحية من نواحي ما ورد في الآية، فالآية التي يرد فيها مراحل خلق الإنسان تلفت نظر الطبيب، والآية التي يرد فيها ذكر الكواكب والنجوم تلفت عالم الفلك، والآية التي يرد فيها ذكر الحيوان تلفت نظر عالم الأحياء، أما الإنسان الذي لا يتخصص فقد يصعب عليه معرفة ناحية الإعجاز،

لذا كان لزاماً على كل من له علم ببعض من النواحي أن يبينها للناس ويوصلها لهم بأبسط الطرق.

أهمية البحث:

إن التفكر في آيات الله، طريق موصل إلى الإيمان بالله، وأنه على كل شيء قدير، كما أن معرفة نواحي الإعجاز في آية ما، مدعاة لزيادة الإيمان في نفوس المؤمنين، وتعظيم لكتاب الله تعالى.

الدراسات السابقة:

١- الإعجاز العلمي في القرآن، د.عبد السلام حمدان اللوح، حيث أورد المؤلف بعض الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم.

٢-من آيات الإعجاز العلمي في القرآن، د. زغلول النجار، حيث تكلم المؤلف عن التحدي الواقع في القرآن الكريم، ثم أورد بعض الآيات الكونية كالمطر والبرق، وعدم تعارضها مع العلوم الحديثة.

٣-الإعجاز العلمي إلى أين، مقالات تقويمية للإعجاز العلمي، د. مساعد الطيار.

٤-إعجاز القرآن الكريم، د.فضل حسن عباس، سناء فضل عباس، اهتم المؤلف بدراسة تاريخ الإعجاز العلمي، وجهود العلماء السابقين والمعاصرين.

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي الاستنباطي، وذلك بجمع البيانات، وتنزيلها على الحقائق العلمية التي استقرت، وليس على ما زال محلاً للدراسة إلى الآن.

خطة البحث:

اشتمل البحث على تمهيد، ومبحثان، وخاتمة.

التمهيد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز.

المطلب الثاني: التعريف بسورة فصلت.

المبحث الأول: الآيات الواردة في خلق الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السمع.

المطلب الثاني: تفضيل السمع على البصر.

المطلب الثالث: الجِلد.

المبحث الثاني: الآيات الواردة في خلق الكون، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأرض.

المطلب الثاني: السماء.

المطلب الثالث: الكواكب والنجوم.

المطلب الرابع: الليل، والنهار والشمس والقمر.

المطلب الخامس: إحياء الأرض بالمطر والنبات.

التمهيد

شاع مصطلح الإعجاز العلمي في هذا العصر، وذلك لكثرة المكتشفات الحديثة التي وافقت كثيراً من الآيات القرآنية، فالإعجاز القرآني له أوجه متعددة تنكشف للناس، جيلاً بعد جيل، دالة في ذلك على إعجاز هذا الكتاب العظيم، وأنه من لدن خالق عظيم.

المطلب الأول: الإعجاز، تعريفه وضوابطه

مفهوم الإعجاز: لم يرد في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية مصطلح الإعجاز، أو لفظ معجزة، وقد ظهر هذا المصطلح متأخراً في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث، إلا أن القرآن الكريم قد استعمل مجموعة من الألفاظ تدل على جزء من معنى الإعجاز، ومن هذه الألفاظ: **الدليل أو الحجة**، كما قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنعام:١٠٩]،

والبرهان، كما قال تعالى ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص:٣٢]،

والسلطان، كما قال تعالى ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم:١٠]، والبينة، كما قال تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف:٧٣].

الإعجاز لغةً: من الفعل الثلاثي: عجز، وشاع أصلان من هذه المادة: العجز، وهو مؤخر الشيء، والعجز، وهو الضعف، والإعجاز: زوال القدرة عن الإتيان بالشيء (١)

المراد بإعجاز القرآن: إثبات عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن أو معارضته، ومنه وصف القرآن بأنه معجزة (٢).

الإعجاز العلمي: من جوانب الإعجاز التي تكلم فيها المعاصرون: إعجاز القرآن العلمي، وهذا الإعجاز لا يتبدى في اشتمال القرآن على النظريات العلمية التي يمكن أن تتغير وتتبدل وتكون ثمرة

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٥٤٧.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي٤/٧.

للجهد البشري في النظر والبحث، وإنما يبدو إعجاز القرآن في حث الإنسان على التفكير والبحث الذي قاد العقل البشري للوصول إلى هذه النظريات والقوانين.

وقد تقدمت العلوم في هذا العصر تقدماً كبيراً، وكثرت مسائلها، ولم يتعارض شيء ثابت منها مع آية من آيات القرآن، وهذا يعد من الإعجاز، ولذا فإن إعجاز القرآن باب واسع، لا يشمل النظريات والفروض التي لا تزال قيد البحث والنظر، وإنما يشمل تلك الحقائق العلمية التي أثبتها العلم جيلاً بعد جيل، وفي القرآن الكريم إشارات إلى عدد منها، حيث أشار إليها إشارة موجزة مجملة يعرفها العلماء بعد طول البحث والدرس.

"الإعجاز العلمي حقيقة لا ننكره، فلا ننكر أن في القرآن أشياء ظهر بيانها في الأزمنة المتأخرة، لكن بعض الناس وصل إلى الغلو في ذلك، فالمغالاة في إثبات الإعجاز العلمي لا تنبغي، خاصة فيما بُني على نظريات، لأنه لو تبين فيما بعد أن هذه النظرية خاطئة، فتكون دلالة القرآن خاطئة، وهذه مسألة خطيرة، فانهماك الناس في الإعجاز العلمي قد يشغلهم عما هو أهم وهو تحقيق العبادة، لأن القرآن الكريم لم ينزل إلا لتحقيق العبادة، قال تعالى﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]" (١).

ضوابط الإعجاز العلمي (٢):

١- ثبوت النص وصحته، إن كان حديثاً نبوياً.

٢- ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتاً قاطعاً، وتوثيق ذلك علمياً، وتجاوز مرحلة الفرض والنظرية إلى القانون العلمي.

٣- وجود الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص بشكل واضح.

كيفية دراسة القضية لاستخراج وجه الإعجاز (٣):

١- جمع النصوص، ورد بعضها إلى بعض للخروج بنتيجة صحيحة لا يعارضها شيء من تلك النصوص.

٢- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالموضوع إن وجدت، وكذلك روايات الحديث بألفاظها المختلفة.

٣- معرفة ما يتعلق بالموضوع من سبب نزول، ونسخ، وغير ذلك.

٤- محاولة فهم النص الواقع تحت الدراسة على وفق لغة العرب حين نزول الوحي، وذلك لتغير دلالات الألفاظ حسب مرور الوقت، فالنص يقدم على الظاهر، والظاهر يقدم على المؤول،
كما يقدم المنطوق على المفهوم، مع مراعاة السياق، وعدم اجتزاء النص عما قبله وما بعده، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والاطلاع على معاني الحروف، ومعرفة أوجه الإعراب،

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين٢٦/٢٨.

(٢) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، تاريخه وضوابطه، د.عبدالله المصلح ص٣٠-٣٧.

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مركز اسطنبول، ومباحث في إعجاز القرآن، د.مصطفى مسلم ص١٦٥.

وحمل المشترك اللفظي على معنى واحد دون نفي الآخر أو القطع بأن هذ الصواب مالم تكن هناك قرينة راجحة.

٥- إظهار وجه الإعجاز.

٦- عدم البحث في الأمور الغيبية.

٧- عدم الاعتماد على الإسرائيليات أو الروايات الضعيفة.

٨- الاعتماد على المصادر المعتبرة في التفسير والحديث.

٩- الابتعاد عن تسفيه آراء السلف ورميهم بالجهل.

١٠- حصر الدراسة فيما تمكن القدرة عليه، فالجامعات والمراكز مجالاتها أكثر وأكبر في الدراسات من الأفراد.

١١- أن يعلم الباحث أن كلم الله ورسوله صدق وحق، ولا يمكن أن يخالف حقيقة علمية، لأن الله تعالى هو الخالق العالم بأسرار خلقه.

١٢- تحري الصواب والصدق، وإخلاص النية لله تعالى في بيان الحق للناس.

١٣- التحلي بالصبر، والكفاءة العلمية، والموضوعية، في حصر المعلومات ودراستها، من غير تحيز لفكرة أو رأي، مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق والاقتباس.

المطلب الثاني: التعريف بسورة فصلت.

أسماؤها: فصلت، حم السجدة (١)، سورة المصابيح (٢).

ترتيبها: هي السورة الحادية والأربعون في ترتيب المصحف العثماني، والحادية والستون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة غافر، وقبل سورة الزخرف.

نوعها: مكية بالإجماع.

أحوال نزولها: نزلت في المرحلة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، وذلك بعد حادثة الإسراء، وقبيل الهجرة (٣).

عدد آياتها: أربع وخمسون آية في عد أهل الكوفة، وثلاث وخمسون آية في عد أهل الحجاز، واثنتان وخمسون آية في عد أهل البصرة والشام (٤).

---

(١)ينظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر الجرجاني٢/٥٤٤.

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ للمقري ص١٥٣، وجمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ص٩١، والناسخ والمنسوخ للكرمي ص١٧٩.

(٣)ينظر: الموسوعة القرآنية لجعفر شرف الدين٨/٣١.

(٤) ينظر: البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ص٢٢٠، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي١/٢٣٦.

المبحث الأول: الآيات الواردة في خلق الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السمع

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [سورة فصلت، الآية: ٥] وقوله تعالى:﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٤٤﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٤]

يبين الله تعالى حال المشركين في استماعهم لنداء الحق أن على قلوبهم أغطية، وفي آذانهم ثقل يمنعهم من سماع الحق، استثقالاً وكراهة لما يُدعون إليه، حتى ييأس النبي صلى الله عليه وسلم من قبولهم لدينه، فهم بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع، والمعنى: أنهم في ترك قبول الحق بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع، وقصدهم من ذلك الإعراض عن الحق من كل وجه، وإظهار بغضه، والرضا بما هم عليه (١).

الصمم يبتديء بالصمم الإرادي النفسي، فالصمم المقنع، فصمم قناة الأذن الخارجية، فالداخلية، يليه صمم العصب السمعي، ثم الصمم المركزي بنوعيه.

إن عملية السمع تحتاج إلى أذن سليمة عضوياً وفسيولوجياً وإرادياً، وإن أية موانع أو عوائق أو عطل ابتداءً من بدء وصول الصوت إلى الأذن الخارجية، فالوسطى، فالداخلية، ثم العصب السمعي المؤدي إلى المركز السمعي في المنطقة (٤١) من الدماغ، منتهياً إلى مناطق الوعي في قشرة الدماغ، ومنطقة ونكز، سليمة،

فكلها سوف يؤثر في المسموع من الأصوات ويؤثر على ما يوعى من الكلام (٢).

إن درجات الوعي لما يقال تعتمد على معرفة مسبقة باللغة، فإذا كان الإنسان يعرف اللغة جيداً، فإنه لو سمع نصف الكلمة لكادت تكفيه لفهم المعنى، في حين أنه لو لم يكن يعرف تلك اللغة جيداً فحتماً سيحتاج إلى درجة سمع أعلى لتصل كامل تفاصيل تلك الكلمة؛ كي تتحسن عملية وعيها

(١) ينظر: جامع البيان للطبري٢١/٤٢٨، والكشف والبيان للثعلبي، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٤/٨٢، وتيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٧٤٤.

(٢) ينظر: عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة، أ.د.أحمد شوقي إبراهيم١/٢٣٩

وإدراكها، فلو كان القرآن بغير لغة العرب لقالوا: إن هذا سوف يؤدي إلى عدم الوضوح، أي اختلاط الكلمات، وعدم وعيها جيداً.

المطلب الثاني: تفضيل السمع على البصر

قوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢٠]

الجلد: قشر البدن، وجمعه جلود، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [النساء:٥٦]،

والجلود عبارة عن الأبدان (١)، ففي يوم القيامة يشهد على الإنسان سمعه بما كان يصغي به في الدنيا ويستمع إليه، وبصره بما كان ينظر إليه، وبشَرَته (٢) بما كان يعمل ويمارس، فتنطق الجوارح بما كتمت الألسن من عملهم (٣).

سبب تقديم السمع على البصر: "لأن جنايتهم من حيث السمع الذي تُتلقى به الأحكام الشرعية، وبه يتحقق الإنذار أعظم منها من حيث البصر الذي به تشاهد الأحوال الدالة على التوحيد، فبيانها أحق بالتقديم، وأنسب بالمقام، ولأن السمع شرط النبوة، ولذلك ما بعث الله رسولاً أصم، ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التي تُتلقف من أصحابها" (٤).

إن الطرق التي يتقبل بها الإنسان المعلومات ويدرك بها ما حوله ثلاث: السمع، والبصر، واللمس، فإذا أراد الإنسان إدراك شيء ما فلا بد له من سماع صوته أو رؤية مظهره وشكله، وإن استطاع لمسه فيكون بذلك قد أحاط بكل صفاته،

ومن بين هذه الطرق الثلاث تبرز حاسة السمع كأسهل حاسة تنتقل بها المعلومات إلى الإنسان، أما حاستي البصر واللمس فتحتاج تواجداً فعلياً زمانياً ومكانياً للحدث، بينما لا يحتاج السمع لذلك. إن طرق تعبير الإنسان عن مكنونات نفسه، وما يدور بفكره بالنطق، وفي حال فقدان الإنسان

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص١٩٩.

(٢) قيل المراد بالجلود الفروج، روي عن السدي وعبيد بن أبي جعفر والفراء، ذكر ذلك البغوي في معالم التنزيل٤/١٣٠، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه٤/٣٨٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن١٥/٣٥٠، وقيل المراد بالجلود الأيدي والأرجل، ذكر ذلك الجوزي في زاد المسير٤/٤٩.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري٢١/٤٥١، وإعراب القرآن للنحاس٤/٤٠، والكشف والبيان للثعلبي٨/٢٩٠، ومعالم التنزيل للبغوي٤/١٣٠.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود١/٣٨.

لحاسة السمع فإنه في الغالب يفقد القدرة على النطق، فيكون بفقدانه السمع قد فقدَ أهم حاسة للتواصل، ومن هنا يتبين أهمية حاسة السمع، ودورها في التواصل الإنساني.

وقد اقترن ذكر السمع مع البصر في مواضع عديدة من القرآن الكريم، تقدم فيها ذكر السمع على البصر، وذلك في آيات الخلق والإنشاء، قال تعالى﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان:٢]،

فالسمع أول حاسة تنمو وتكتمل عند الجنين، كما أن مركز السمع يقع في الفص الصدغي، بينما مركز البصر يقع في الفص الخلفي، فيكون تقدم ذكر السمع موافقاً للوضع التشريحي (١).

كما أن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل المنطقة البصرية، وهذا التطور الفسيولوجي هو السبب وراء تعلم الطفل للمعلومات السمعية بطريقة أسرع وأسهل من تعلمه للمعلومات البصرية.

إن أول حاسة تُسأل يوم القيامة هي حاسة السمع، وبذلك يكون السؤال بنفس أولوية الإيجاد والخلق قال تعالى﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

والمتأمل للقرآن الكريم يرى أن هناك بعض الآيات قُدم فيها البصر على السمع، قال تعالى﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ [السجدة:١٢)،

وقد فسر العلماء تقدم البصر على السمع لسرعة انتقال الضوء الذي هو سبب رئيسي في عملية الإبصار التي تزيد على سرعة انتقال الضوء.

فمما سبق يلاحظ أن تقدم ذكر السمع على البصر عند ذكر إنشاء الحواس، أما عند ذكر عملية الإبصار، فالصورة تسبق الصوت، لذا فإن الإبصار كعملية يسبق السماع.

ولذا فإن من يولد فاقداً لحاسة السمع يصبح فيما بعد أبكماً ولا يمكنه تعلم الكلام، أما إذا ولد الطفل وهو فاقد لحاسة البصر فلا تواجهه مشكلة في تعلم النطق بسهولة؛ لأنه يتعلم المحاكاة للأصوات التي يسمعها من حوله، ويبدأ بتقليد الأصوات، ويتدرج حتى يصبح قادراً على النطق،

يقول ابن القيم رحمه الله: "من عُدم السمع عُدم المواعظ والنصائح وانسدت عليه أبواب العلوم، وانفتحت عليه أبواب الشهوات التي يراها بعينه" (٢).

إن حاسة السمع تستمر بعد الموت، بحيث يستطيع الميت الإدراك السمعي برغم انتقاله إلى حياة البرزخ (٣)

---

(١) ينظر: الإعاقة السمعية دليل علمي وعملي للآباء والمتخصصين، د.هلا السعيد ص٣٩.

(٢) مفتاح دار السعادة١/٢٦٥.

(٣) ينظر: سماع الموتى، أ.أسيل زيدان، ود.محسن الخالدي ص٦.

ففي الحديث: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم) ([1])،

وحديث (مامن أحد يمر على قبر أخيه المؤمن فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه) ([2]).

ذكرت كلمة السمع ومشتقاتها وتصاريفها في القرآن الكريم (١٨٥) مرة بينما وردت كلمة البصر ومشتقاتها وتصاريفها (١٤٨)

وحيثما وردت كلمة السمع في القرآن الكريم عنت دائماً سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات، بينما لم تعن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في (٨٨) حالة فقط، إذ أنها دلت في باقي المرات على التبصير العقلي والفكري.

وقد ترافق ذكر السمع والبصر في (٣٨) آية من القرآن، سبق فيها ذكر السمع على البصر بلا استثناء، مما يدعو إلى البحث عن سبب هذا التقديم

تقديم السمع على البصر في تكوين الإنسان: إذ تظهر الصحيفة السمعية في آخر الأسبوع الثالث من حياة الجنين، وهي أول مكونات آلة السمع، بينما تظهر الصحيفة البصرية في أول الأسبوع الرابع من حياة الجنين، كما أن الأذن الداخلية للجنين تنضج في الشهر الخامس، قبل العين التي تتأخر لتكون في الشهر السابع، ولذلك يصبح الجنين قادراً على السمع في الشهر الخامس، فيسمع الجنين أصوات حركات أمعاء وقلب أمه، كما أنه يسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية بعد بضعة أيام من ولادته، بينما لا تفتح العين ولا تتطور طبقتها الحساسة للضوء إلا في الشهر السابع، ولم تسجل إشارات عصبية في الجهاز البصري للجنين إلا بعد ولادته، وحتى بعد الولادة تكون حاسة البصر ضعيفة جداً، أو تكاد أن تكون معدومة، فالوليد يصعب عليه تمييز الضوء من الظلام، ولا يرى إلا صوراً مشوشة للمرئيات، ثم في الشهر الثالث أو الرابع يبدأ بتمييز شكل أمه، أو قنينة حليبه، وتتبع حركاتهما،

وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص، فحاسة السمع هي الأهم بالنسبة إلى الإنسان من حاسة البصر في تنمية القدرات العقلية ([3])

أسباب تفضيل السمع على البصر ([4]):

١- وسيلة الاتصال مع العالم الخارجي، كما أن السمع هو طريق الاتصال بالله عز وجل، كما حدث مع نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه:١٣].

([1]) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، ح١٣٧٤، ٢/٩٨)، ومسلم في صحيحه(كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٢٨٧٠، ٤/٢٢٠٠).

([2]) أخرجه ابن عبدالبر في الاستذكار١/١٨٥، والشوكاني في نيل الأوطار٣/٢٩٥. قال الشوكاني: حديث صحيح.

([3]) ينظر: الإعجاز العلمي في علوم التشريح، محمد بو رباب ٢٠١٣، و الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أ.د.عبدالله المصلح، المنهج الجامعي.

([4]) ينظر: حاستي السمع والبصر في كتاب الله نظرة تأملية، وحاسة السمع في القرآن، عبدالقادر شحرور.

٢- وسيلة تلقي القرآن الكريم، وقد ورد ذكر السمع للقرآن المنزل، وكيف أن الشياطين لا تستطيع سماعه، قال تعالى﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء:٢١٠-٢١٢].

٣- حاسة الطواريء، فزمن الارتداد السمعي أقصر من زمن الارتداد البصري، بمعنى أن حاسة البصر ذات أهمية أعلى في المواقف الحرجة.

٤- الحاسة غير المشروطة، ليس هناك شرط للسمع، بينما يشترط الضوء للإبصار.

٥- التواجد المكاني، لا تحتاج حاسة السمع إلى تواجد حقيقي، بخلاف الإبصار الذي يحتاج لإبصار شيء ما إلى تواجد فعلي للشيء لإبصاره، كما أن حاسة اللمس تحتاج إلى تواجد قريب لملامسة الشيء المراد معرفته.

٦- حاسة لا إرادية، فالإنسان يسمع بدون إرادة منه، بينما يتحكم بحاسة الإبصار، فيستطيع إغلاق عينيه في حال عدم رغبته في الرؤية، قال تعالى عن أصحاب الكهف﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الكهف:١١] والضرب هنا بمعنى التعطيل (١).

٧- حفظ توازن الجسم، فقد أثبت العلم الحديث احتواء الأذن الداخلية على جهاز خاص يحافظ على توازن جسم الإنسان.

٨- آلة الاستدعاء يوم البعث، قال تعالى﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧] فالفزع ناتجٌ من النفخ بالصور، وفي الحديث (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى) (٢)، فحاسة السمع ذكرت كدليل على أنها ستكون طريقة تنبيه المخلوقات يوم القيامة.

٩- عملية السمع تتم من كافة الاتجاهات والمستويات التي تحيط بالأذنين، فزاوية السمع (٣٦٠) درجة، في حين أن زاوية الرؤية أفقياً (١٨٠)، وعمودياً (١٤٥) . (٣).

١٠- الموجات الصوتية تسير في كل الاتجاهات، حتى إن تم اعتراضها من قِبل الأجسام الغير شفافة، أما انتقال الأشعة الضوئية فلابد أن يكون بخط مستقيم، وفي حال اعتراضها جسم غير شفاف فإنه يمنعها من الانتقال، وتمتنع عندها الرؤية.

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور١/٥٥٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور، ح٢٩٤٠، ٤/٢٢٥٨).

(٣) الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر، عادل الصعدي، مركز بحوث جامعة الإيمان، ٢٠١٣.

سبب إفراد السمع، وجمع البصر: لأن أصل كلمة السمع قبل أن تسمى بها تلك الحاسة المعروفة مصدر للفعل (سَمع)، والمصادر والأجناس لا تثنى ولا تجمع، كما أن مدركات السمع شيء واحد، وهو الصوت، والسمع لا يقبل من الأصوات مهما تعددت وتنوعت إلا صوتاً واحداً، أو يلفظها جميعاً إذا تزاحمت عليه، ولم يستطع عزل بعضها عن بعض،

أما البصر فمدركاته متنوعة، فهو طريق لكل المرئيات الساكنة والمتحركة والجامدة والسائلة، والصامتة والناطقة، ويمكن أن يحيط بها البصر في لحظة واحدة، ويحتفظ لكل منها بصورة غير مختلطة بغيرها، فالرائي يرى بنظرة واحدة أعداداً كثيرة من الناس مختلفة الأشكال والألوان، ولهذا جاء في الآية مجموعاً.

كما أن حاسة السمع تحتاج إلى مؤثر، وهو الصوت الذي يطرق الأذن، فلا يكفي وجود الجهاز السمعي لحدوث السمع، فإذا لم يكن صوت مسموع لم تعمل الأذن، فالسمع متوقف على المؤثر، بخلاف البصر الذي يعمل ما دام المبصر يقظاً فاتحاً عينه، فيرى صوراً كثيرة، ساكنة كانت أو متحركة.

فضل السمع على البصر: قال تعالى﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يونس:٤٢،٤٣] " دل على فضل السمع على البصر حين جعل مع الصمم فقدان العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر" (١)، كما أن العلوم الحاصلة من السمع أضعاف العلوم الحاصلة من البصر؛ فإن البصر لا يدرك إلا بعض الموجودات المشاهدة بالبصر القريبة، والسمع يدرك الموجودات والمعدومات، والحاضر والغائب، والقريب والبعيد، والواجب والممكن والممتنع، فلا نسبة لإدراك البصر إلى إدراكه.

المطلب الثالث: الجِلد

قوله تعالى:﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢١]

إن شهادة الجلود أعظم وأعم، كما أن الجلود هي التي تُعذَّب، فهي مناط الشعور والإحساس، قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥٦]، فالجلود هي التي تحس بالعذاب وتتألم به،فكان السؤال منطقياً للجلود (٢).

سبب اختصاص الجلود بالمعاتبة من قِبل الكفار: لأن الجلد يعم البدن كله، والجوارح مندرجة تحته، كما أن الجلد هو محل الإحساس بالعذاب(٣).

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٣.

(٢) د.فاضل السامرائي.

المبحث الثاني: الآيات الواردة في خلق الكون، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأرض

قوله تعالى:﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [سورة فصلت، الآية: ٩]

يخبر الحق تبارك وتعالى أنه خلق الأرض في يومين، ولو أراد أن يخلقها في لحظة لفعل، ولكان ذلك سائغاً في قدرته، ولكنه أحب أن يبصِّر الخلق وجوه الأناة والقدرة على خلق السماوات والأرض في أيام كثيرة، وفي لحظة واحدة، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما أنها خُلقت يومي الأحد والاثنين، وخلقها في يومين أدل على القدرة والحكمة من خلقها دفعة واحدة في طرفة عين؛ لأنه أبعد من أن يظن به الاتفاق والطبع، وليرشد خلقه إلى الأناة في أمورهم، ولا سؤال عليه في خلقه، فكيفما شاء خلق،

وابتدأ سبحانه بذكر خلق الأرض، لأنها أظهر للعيان، وهي في متناول الإنسان، فلا جرم أن كانت الحجة عليهم بخلق الأرض أسبق نهوضاً، ولأن النعمة بما تحتوي عليه الأرض أقوى وأعم (١).

إن الأرض لم تكن موجودة، فأوجدها الله في يومين، ولكنها غير صالحة للحياة، فقدَّر فيها أقواتها وخلق عليها الجبال وغير ذلك، بشكل يجعلها صالحة للحياة (٢)،

من أهم الحقائق التي تفرد بذكرها القرآن دون غيره من الكتب السماوية، حقيقة أن السماوات والأرض قد خلقهما الله في يومين اثنين، ولم يستغرق خلقها ستة أيام (٣).

المطلب الثاني: السماء

قوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة فصلت، الآية: ١١]

بعد أن خلق الله تعالى الأرض، عمد وقصد تسوية السماء، التي كانت دخاناً لا تماسكَ لها، ففتقها فجعلها سبع سماوات، وأتقنها وأكمل أمرها(٤).

---

(٣) ملتقى أهل التفسير.

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج٤/٣٨٠، والنكت والعيون للماوردي٥/١٧٠، وتفسير السمعاني٥/٣٨، والتحرير والتنوير لابن عاشور٢٥/١٧.

(٢) أسرار الإعجاز العلمي عبدالدائم الكحيل.

(٣) موقع إعجاز القرآن والسنة، د.منصور العبادي أبو شريعة.

(٤) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي٨/٢٨٧، وتفسير السمعاني٥/٤٢، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٣١٠، والمحرر الوجيز لابن عطية٥/٧،

إن الأرض تشكلت من الدخان الكوني، وقد كان الدخان ينتشر في كل مكان أثناء تشكل الأرض، وبعد تشكلها لملايين السنين، أي في اللحظة التي تشكلت فيها الأرض كان الدخان موجوداً (١).

إن الآية الكريمة تشير إلى أن السماء كانت موجودة، فالاستواء كان بعد خلق السماء والأرض، أي أنه بعد ستة أيام تم خلق السماء والأرض، فالسماء مخلوقة وموجودة مع الأرض،

وهذا ما يقرره العلم الحديث، فالعلماء يؤكدون أن خلق الأرض حدثَ والسماء موجودة وهي تتسع وتتشكل النجوم، وتستمر حركة المجرات وانفجار النجوم وخلق نجوم جديدة وهكذا، وفي هذه الظروف خلقت الأرض (٢).

المطلب الثالث: الكواكب والنجوم

قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [سورة فصلت، الآية: ١٢]

زيَّن سبحانه السماء الدنيا بالمصابيح وهي الكواكب، فجعلها زينة وحفظاً من استماع الشياطين للوحي، وذلك بعد مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وسميت مصابيحاً لإضاءتها وحفظها (٣).

إن السماء الدنيا تحيط بالأرض من جميع جوانبها، وتمتد إلى آخر مجرة يمكن رؤيتها، لأن الله تعالى زين السماء الدنيا أي السماء الأولى والأقرب إلينا بالنجوم والمجرات. فالسماء الدنيا تمتد من فرقنا مروراً بالغلاف الجوي ثم إلى الفضاء حتى آخر نجم يمكن رؤيته، فهذه كلها سماء دنيا، فالكون الذي يسميه العلماء Universe ما هو إلا السماء الدنيا والأرض، أما بقية السماوات السبع فهي أمر لم يكتشفه العلم (٤).

المطلب الرابع: الليل والنهار والشمس والقمر

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٧]

---

(١) أسرار الإعجاز العلمي، عبدالدائم الكحيل.

(٢) أسرار الإعجاز العلمي، عبدالدائم الكحيل.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري٢١/٤٤١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج٤/٣٨٢، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين٤/١٤٧، وزاد المسير في علم التفسير٤/٤٧،

(٤) أسرار الإعجاز العلمي، عبدالدائم الكحيل.

من علاماته سبحانه خلق سبحانه التي تدل على أنه واحد: الليل والنهار والشمس والقمر، فلما انتهى الكلام إلى الشمس والقمر، وهما يعبدان نهى عن عبادتهما، وأمر بعبادة الذي خلقهما، وخلق الليل والنهار، وتقديم الليل على النهار، تنبيهاً على أن الظلمة عدم، والنور وجود، والعدم سابق على الوجود، فهذا كالتنبيه على حدوث هذه الأشياء، فنهى عن السجود للشمس والقمر، لأنهما وإن كانا خلقين فليس ذلك لفضيلة لهما في أنفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله تعالى، لأن خالقهما هو الله الذي لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما (١)

ذكر هذه الأربع؛ لأنها معروضة للأنظار، يراها العالم والجاهل، ولها في القلب روعة مباشرة، ولو لم يعلم الإنسان شيئاً عن حقيقتها العلمية فبينها وبين البشر صلة أعمق من المعرفة العلمية، لذا فإن القرآن الكريم غالباً ما يكتفي بتوجيه الأنظار والتفكر إليها.

يمن الله تعالى على الإنسان بتبادل الليل والنهار، ويعتبرهما من آياته العظيمة، لأنها سبب بعد الله في استقامة الحياة على الأرض، وعون للإنسان على تحديد الزمن، والتاريخ للأحداث، وبدون هذا التبادل تتوقف الحياة على الأرض، ويتلاشى إحساس الإنسان بمرور الزمن، وتتوقف قدرته على متابعة الأحداث والتاريخ.

كما أن الليل والنهار يعينان على انتظام حركة الأرض حول محورها المائل بقدر محدد، في مدار محدد حول الشمس، وما يستتبعه ذلك من تحديد لسنة الأرض، وتبادل للفصول المناخية، ومرور للشهور، والأسابيع، والأيام.

إن تعاقب الليل والنهار من الضرورات اللازمة للحياة الأرضية، ولاستمرارية وجودها بصورها المختلفة، فبهذا التبادل بين الظلمة والنور يتم التحكم في توزيع ما يصل إلى الأرض من الطاقة الشمسية، وبالتالي يعين على التحكم في درجات الحرارة، والرطوبة، وكميات الضوء في مختلف البيئات الأرضية، كما يعين على التحكم في العديد من الأنشطة الحياتية وغير الحياتية، كالتنفس والأيض في كل من الإنسان والحيوان، وعمليات النتح والتمثيل والضوئي في النباتات.

إن في اختلاف الليل والنهار تقسيماً لليوم بين فترة للحركة والعمل والنشاط، وفترة للراحة والاستجمام والسكون (٢).

خص الشمس والقمر بالذكر لأنهما أحسن الأجرام المشاهَدة، ومع ذلك نبه سبحانه على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده، تحت قهره وتسخيره (٣)

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة١٩٧/٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج٣٨٧/٤، ومفاتيح الغيب للرازي٥٦٦/٢٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي١٤،١٥/٣٦٤.

(٢) د.زغلول النجار أستاذ علوم الأرض

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير١٦٦/٧.

قدم سبحانه ذكر الليل على ذكر النهار تنبيهاً على تقدمه، مع كون الظلمة عدماً، وكون النور وجوداً، والعدم سابق على الوجود (١).

أما الشمس فناسب ذكرها بعد النهار؛ لأنها آيته، وسبب تنويره، ولأنها أصل لنور القمر، بناءً على أن نور القمر مستفاد من ضياء الشمس، فضياؤها غير طاريء عليها من جرم آخر، ولهذا قدمت على القمر، وكان من حقها أن تتأخر، قياساً على تقديم الليل على النهار.

المطلب الخامس: إحياء الأرض بالمطر والنبات

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٩]

من حجج الله وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أن الأرض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع، فإذا نزل عليها الماء من السماء اهتزت اهتزازاً يُخلل أجزاءها ويشققها للنبات، وتحركت به، فشبه سبحانه الأرض اليابسة بالعابس الخاشع الذي يكاد يبكي (٢)

كل مخلوق خاشع لله، أي مخبت، فخشوع الأرض يكون بالتقشف من الألوان والخضرة والماء، أي أنها مغبرة لا نبات فيها ولا خضرة. إن اهتزاز التربة وربوها بعد نزول المطر عليها عمليتان دقيقتان غير مشاهدتين ولا محسوستين، ولا يمكن إدراكهما إلا من خلال استخدام المجهر.

أثبت العلم أن الكائنات الحية تتكون من عنصرين أساسيين، هما: الماء والتراب، وحبيبات التربة هي مكون غير حي يحفظ الماء، ويحمل كثيراً من العناصر الغذائية اللازمة للمكونات الحية، واختلاط الماء بالتربة يعطي مظهراً لبداية نشاط الكائنات الحية بها على مختلف صورها، مثلما يحدث لحبيبات التربة ذاتها، وهو ما وضحه الخالق سبحانه في هذه الآية، أي أن سقوط المطر على التربة يتسبب عنه ثلاث **آيات، الأولى**: اهتزاز التربة، ومعناه حدوث حركات اهتزازية منفصلة للحبيبات المكونة للتربة، فنزول المطر على الأرض يؤدي إلى اهتزاز الحبيبات.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي٢٧/٥٦٦، وروح المعاني للألوسي١٢/٣٧٦.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري٢١/٤٧٥، والنكت والعيون للماوردي٥/١٨٤، والجواهر الحسان للثعالبي٥/١٤١.

أما الآية الثانية: انتفاخ الحبيبات ونمائها وزيادة سماكتها، مما يعني زيادة حجم الأرض نتيجة زيادة حجم حبيباتها.

وأما الآية الثالثة: عملية إنبات البذور وغيرها مما تحويه الأرض، وهذه الآية وردت في قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ [الحج:٥] (١).

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.نايف منير فارس ص٦٥٦.

الخاتمة

وفي نهاية هذه الورقات، نجد أن على كل مسلم الكثير من المسؤولية تجاه كتاب الله تعالى، من دراسته، وتدبره، واستخراج ما فيه من أوجه العبر والإعجاز.

فالنتائج والتوصيات لن تكون إلا خطوة أولى نحو فهم أعمق للقرآن الكريم، الذي أوصى الله تعالى بتدبره وفهمه.

أهم النتائج:

١- أن الإعجاز لا يتوقف على ناحية واحدة من نواحي القرآن الكريم.
٢- لابد من معرفة ضوابط الإعجاز الذي يرتبط بكتاب الله وآياته.
٣- أن القرآن كله معجز، وكل سورة من سوره معجزة تحدى الله بها عباده.

أهم التوصيات:

١- استكمال دراسة باقي نواحي الإعجاز في سورة فصلت.
٢- إثبات ما قد يثبته العلم الحديث بعد زمن مما يوافق آيات القرآن الكريم.
٣- ربط الإعجاز بما يتناسب معه من آيات القرآن.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، ت٩١١هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ت٩٨٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣. الاستذكار لابن عبدالبر، أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، ت٤٦٣هـ، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٩.

٤. الإعاقة السمعية دليل علمي وعملي للآباء والمتخصصين، د.هلا السعيد، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية.

٥. الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر، عادل الصعدي، مركز بحوث جامعة الإيمان، ٢٠١٣.

٦. الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.نايف منير فارس، الناشر: دار ابن حزم، ٢٠٠٦م.

٧. إعراب القرآن للنحاس، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، ت٣٣٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٨. البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، ت٤٤٤هـ، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١.

٩. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت٢٧٦هـ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان.

١٠. التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت١٣٩٣هـ، الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

١١. تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، ت٤٨٩هـ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

١٢. تفسير القرآن العزيز لابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري المالكي، ت٣٩٩هـ، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٥.

١٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

١٤. تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت٤٥٠هـ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ٦.

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، ت٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٤.

١٧. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٥.

١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه للبخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، ت٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

١٩. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، عدد الأجزاء: ٢٠.

٢٠. جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي، أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي علم الدين السخاوي، ت٦٤٣هـ، تحقيق: د.مروان العطية، د.محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

٢١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ت٨٧٥هـ، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٢. حاسة السمع، عبدالقادر شحرور.

٢٣. درج الدرر في تفسير الآي والسور، أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي الأصل الجرجاني الدار، ت٤٧١هـ، تحقيق: طلعت صلاح الفرحان، ومحمد أديب شكور أمرير، الناشر: دار الفكر، عَمَّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٤.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت١٢٧٠هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٦.

٢٥. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت٥٩٧هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٦.سماع الموتى دراسة قرآنية، أ.أسيل زيدان، ود.محسن الخالدي، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية).

٢٧. عالم الإنسان في ضوء القرآن والسنة، الطبيب: أ.د.أحمد شوقي إبراهيم أحمد، الناشر: دار نهضة مصر، ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٣.

٢٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ت٤٢٧هـ، تحقيق: ابن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٩. لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، أبو الحسن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي، ت٧٤١هـ، تحقيق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٠.لسان العرب لابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت٧١١هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ١٥.

٣١. مباحث في إعجاز القرآن، د.مصطفى مسلم، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٢. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، ت٢٠٩هـ، تحقيق: محمد فواد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: ١٣٨١هـ.

٣٣. مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت١٤٢١هـ، الناشر: دار الوطن، دار الثريا، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ٢٦.

٣٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، ت٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ت٥١٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: ٥.

٣٦. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، ت٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٥.

٣٧.مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٣٨. المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد بن المفضل، ت٥٠٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي، الناشر: دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ.

٣٩.الموسوعة القرآنية، جعفر شرف الدين، تحقيق: عبدالعزيز عثمان التويجري، الناشر: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠. الناسخ والمنسوخ للكرمي، المسمى قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي، تحقيق: سامي عطا حسن، الناشر: دار القرآن الكريم، الكويت، ١٤٠٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

٤١. الناسخ والمنسوخ للمقري، أبو القاسم، هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، ت٤١٠هـ، تحقيق: زهير الشاويش، ومحمد كنعان، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

٤٢. نيل الأوطار للشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، ت١٢٥٠هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٨.